# موسوليني ومسز اسكوث

مسز اسكوث زوجة الوزير اسكوث من ابلغ ربات القلم الانكليزيات واوسعهن اطلاعاً واشهرهن في فنون السياسة . وقد كانت منذ حداثتها تقابل الملوك وتكاتب الوزراء وتباحث الفلاسفة . زارت ايطاليا بالامس ولقيت السنيور موسوليني كبير وزرائها وحادثته ونشرت وصفها له وخلاصة حديثها معه في مجلة لندن فرأينا ان نلخص ذلك فيما يلي لما فيه من الفائدة

قالت بعد ان وصفت قصراً من قصور رومية اني لست مغرمة بمشاهدة الآثار ولا بلقاء الرجال ولكن ما اشتهر عن فوز موسوليني ووضاعة اصله وسرعة شهرته حملني على الرغبة في مقابلته . وكنت اعلم ان سفيرنا في رومية هو الشخص الذي يستطيع ان يدبر امر هذه المقابلة لانه يجتمع به كل يوم تقريباً لكنني لم اشأ ان اكلفه بذلك وكنت اعلم ايضاً اني ان تمكنت من مقابلة موسوليني فوقت المقابلة يكون قصيراً لا يكفي لان اعرف من امور م كل ما اود معرفته . فسألت كل الذين لقيتهم عما يعلمونه من امره . وغنيٌ عن البيان اني سمعت منهم اقوالاً متناقضة . ومما سمعته عنه ان ثقته بنفسه لم ينتج اكثرها من اعجابه ببوليون والاقتداء به كما يقال بل من قراءته رسائل مكيافلي وخطبه . وهذا شيء جديد لم اكن اعلمه ولا رأيت في اعماله ما يؤيده من حين دخل رومية برجاله الى حين امر بدخول جزيرة كورفو دخولاً لا مسوّغ له . ومهما يكن من ذلك فهل لا نزال في عصر نعتقد فيه او نجعل غيرنا يعتقد « ان الناس لا يعملون قصد النفع العام الا مضطرين » كما قال مكيافلي او « انهم يأسفون اذا نُزع منهم شيء من قوتهم اكثر مما يأسفون اذا فقدوا اخاً او اباً لان الميت يُنسى احياناً ولكن ما يملكه الآن لا ينساه اذا فقده » او « ان الصداقة نوع من الانتفاع فاذا عارضت النفع لم تثبت واما الخوف فاثبت منها لان العقاب متصل به وتأثيره ثابت »

اذا صحّ نصف ما يستنتج من آراء مكيافلي انحط الناس الى درجة العجماوات بل صاروا خُشُباً مسندة يستطيع كل معتوه ان يتسلط عليهم . وهذه الآراء لاتخامر الا نفس شاب غرٍّ او رجل فطر على احتقار ابناء نوعه . اما انا فارى الامارات التي في وجه موسوليني على ما في صوره الفوتوغرافية تومئ الى ذكاء عقل

وطيب سريرة حتى ليتعذر عليَّ ان اصدق انهُ يسير سيرة الطغاة في رأي يبديهِ او عمل يأتيهِ

المعتدُّ بنفسهِ قد يستطيع ان يتسلط على الناس ولكنهُ لا يستطيع ان يتولى قيادتهم ولا بدَّ من ان يكرهوهُ ما لم يحقر اعتدادهُ بنفسهِ او يُقلع عنهُ

قال مكيافلي في كتابهِ « البرنس » «ان الانبياء المسلحين يفوزون وأما غير المسلحين فيهلكون لان طبائع الناس سريعة الانقلاب فيسهل اقناعهم ولكن يصعب ابقاءهم مقتنعين ولذلك يجب الاحتياط حتى اذا بدت منهم بوادر الشك يلجأ الى اقناعهم بالقوة »

وعندي ان هذا القول يصدق على الناس اذا صاروا جمادات . والحاكم الذي يقول لشعبهِ « انكم انما تنالون الحرية متى صرتم تستحقونها » قد ينجح في ايطاليا ولكنهُ لا يبقى في اكثر البلدان اسبوعاً واحداً متمتعاً بسلطتهِ . ونحن الانكليز نعتقد ان الحرية ارث طبيعي وعقولنا وعاداتنا وشرائعنا تحملنا على الاحتفاظ بهذا الارث . اما ما يُرمى بهِ موسوليني من هذا القبيل فقد رُمي بهِ كثيرون من العظماء ظلماً فلا ابدي حكماً فيهِ قبلما اراهُ

والانتقاد الكبير الذي سمعتهُ على موسوليني انهُ لا يرى الاَّ قليلين من الذين يفوقونهُ وان حاشيتهُ ليست من الخواص. قال لي احد الذين كلموني في هذا الموضوع ان الامثال قلما تخطيء فقد قالت ان « الطيور على امثالها تقع » ( وفي الاصل Birds of feather flock together ) فقلت لهُ ان بعض الامثلة يصدق غالباً ولكن بعضها لا يصدق ابداً كقولهم « ودخان من غير نار محال »

واستنتجتُ بعد بحث طويل ان موسوليني ابن حداد ولد في قرية دوريا من اعمال فورلي سنة ١٨٨٣ ودرس في كلية فورلبوبولي وذهب الى سويسرا سنة ١٩٠٢ وكان يعمل في بناء القرميد ويكتب في الجرائد وكان شديد الميل الى الاشتراكية وصار محرراً لجريدة حزبهِ المسماة اتقي ولما نشبت الحرب سنة ١٩١٤ وطلب اشتراكيو ايطاليا ان تلتزم بلادهم الحياد التام لم تجارهم جريدتهُ ولا خالفتهم ولكنهُ ترك تحريرها في اكتوبر تلك السنة وجاهر بانهُ يجب على كل احد ان ينضمَّ الى الحلفاء لانهم يسعون لغرض سام فلا يليق ببلاد عظيمة ان تبقى على الحياد. فخرج من الحزب الاشتراكي الذي هو منهُ وانشأ جريدتهُ المشهورة Popolo d'Italia

ولم يكتف بالكتابة فيها بل كان ينادي بانهُ يجب على كل ايطالي جنديًّا اوغير جندي ان يحارب البروسيين . وانتظم في سلك الجيش سنة ١٩١٥ كجندي وجرح في بطنهِ جرحاً خطراً

كانت ايطاليا مضطربة منذ مدة طويلة فلما انتهت الحرب اصابها قسط كبير من القلق الذي اصاب سائر البلدان . وكثيراً ما خطب الخطباء ومنّوا الناس بسلم دائم ونعيم مقيم بعد الحرب وويلاتها فوقف الذين اشتركوا فيها منتظرين تحقيق الاماني فاذا هي سراب بقيعة

وكانت الحكومة الايطالية ضعيفة متقلقلة والضعف في الاعالي يغري بالعدوان في الاسافل فخيف من ان تفشي البلاد اثر ما يطلق عليهِ اسم البلشفية

البلشفية كلمة روسية يتخذها الكتّاب الآن للتعبير عن كل ثورة يقصد بها قتل الحكام والخروج على كل قانون ونظام حاسبين ان الروس الذين اطلق عليهم هذا الاسم قتلوا قيصرهم ثم الحكام الذين خلفوهُ ونهبوا المقتنيات ونقضوا كل نظام وهم يحاولون بحماقتهم اطلاق الحرية . ويسهل على الناعقين بالخراب ان يتخذوا ذلك دليلاً على صحة ما ينعقون بهِ ولكن المخطر على بالهم ماكان في روسيا قبل ثورتها

قال لي الملك ادورد منذ سنوات كثيرة انهُ حث ابن اخته ( قيصر روسيا ) على بث روح الحرية في مشيريهِ لان منع حرية الكلام والتهادي في نفي الشبان الى سيبيريا لانهم يبدون آراء معتدلة وما بدا في حرب اليابان من انتشار داء الرشوة والاختلاس في روسيا كل ذلك سيؤدي الى ما يسيئهُ وينغص عيش شعبهِ . ولما عين لنكندرف سفيراً لروسيا في لندن قالت لي امهُ وهي من فضليات النساء « ان الثورة صارت في روسيا على قاب قوسين او ادنى ولا بدَّ منها مالم يقلب حكم القيصر من اعلاهُ الى اسفلهِ » ولكن كانت الايام تمرُّ ولا احد من المسؤلين يفوه بكلمة

ولا شبهة ان ايطاليا كانت مهددة بثورة مثل ثورة روسيا لانها لم تكن تثق بحكامها ففرغ صبر بعض رجالها فالفوا حزباً سموهُ حزب الفاشستي وهو حزب محافظ في مذهبهِ وكان من حكمة ملك ايطاليا ان ايّد هذا الحزب وسار موسوليني في طليعتهِ وكان قد تعلّم اموراً كثيرة في سويسرا وفي الحرب وثبت لهُ ان حزب الفاشستي سائر في الطريق السوي لانقاذ ايطاليا من الخراب الذي يهددها . وفي الخامس والعشرين من اكتوبر سنة ١٩٢٢ خاطب جماعة كبيرة في نابلي قبل سيرهم على رومية قائلاً

« ان ايطاليا كلها تنظر اليكم واقول لكم من غير ان اتظاهر بالتواضع الكاذب الذي هو قناع سخيف العقول انهُ لم يحدث بعد الحرب حادث اهم واقوى من قيام حزب الفاشستي الايطالي »

وانكر ان يكون القول الفصل ما تقوله الاكثرية لان الكثرة ضد العقل . وهو متشبث بالفاشستي كانهُ مذهب ديني . وعندهُ انهُ يجب على ايطاليا ان تعود الى ماضيها المجيد وانهُ هو الرجل الذي يستطيع ان يعيدها اليهِ . وقد تمكن بما اوتيهِ من الحزم من استمالة الملك والقواد والمديرين ورجال السياسة ولم يكتفِ بذلك بل استمال الفاتيكان ايضاً فاحسن صنعاً لان البابا هو المرجع الديني الاعلى عند الشعوب الكاثوليكية كاهالي ايطاليا . ومما بلغني عنهُ انهُ اقتنى شبلاً صغيراً وكان يركبهُ معهُ في سيارتهِ ثم اضطر لسبب عائلي ان يضعهُ في بستان الحيوانات ولكنهُ كان يزورهُ ويدخل قفصهُ ويلاعبهُ

وخطة موسوليني في السياسة خطة احتكار فقد احتكر السلطة الادارية والحربية والدينية

فلما سمعت عنهُ كل ما ذكرتهُ آنفاً قلت في نفسي ان من الحق ان اغادر رومية قبل ان القاهُ . ورأيتني ذات يوم جالسة على مائدة والى جانبي رجل من اصدقاء موسوليني ومن رجال حكومتهِ فتحدثنا في بعض الشؤون السياسية واستطرد الحديث الى موسوليني وسياستهِ فقلت لمحدثي انني شديدة الرغبة في لقاء الرجل الذي لهُ في نفسهِ هذا المقام العظيم . فقال لي انهُ لا يرى احداً وقلما يحضر اجتماعاً الاَّ مضطرًّا وهو غير ميال الى محادثة احد ولا وقتهُ يسمح لهُ بذلك فان حملهُ ثقيل وهو لا يستعين باحد على حملهِ معهُ وحياتهُ في خطر دائم من اغتيال الثوار لهُ لكنهُ لا يعبأ بالخطر لانهُ لا يعرف الخوف ولذلك فما تطلبينهُ ضرب من المحال

فلما قال ذلك كدت ايأس منهُ والتفت الى الرجل الذي على الجانب الآخر مني لكي احدثهُ لكنني عدت واستعضت همتي وقلت للاول باسمة « لا اظنك تقنعني بدالّتك على السنيور موسوليني اذا كنت لا تستطيع ان تجمعني بهِ »

وبعد يومين ( ٢٥ مارس ) جاء في سفيرنا وقال لي ان سكرتير موسوليني كلمهُ بالتلفون قائلاً انهُ مستعد لمقابلتي الساعة السادسة والنصف ذلك اليوم

الـدوك موسوليني

موسوليني يلاعب شبله

مقتطف نوفمبر ١٩٢٤

امام الصفحة ٣٨٨

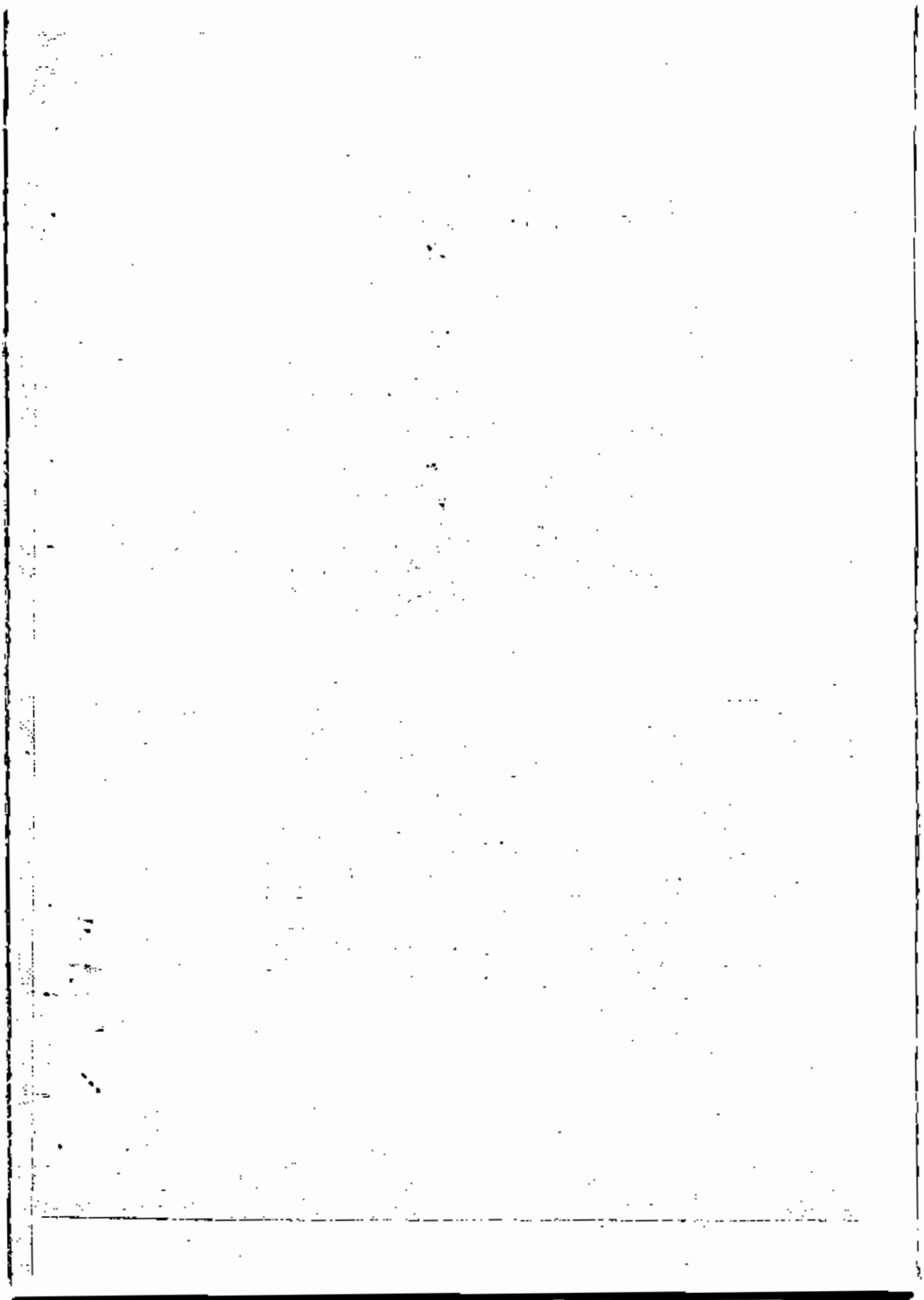

فلبست برنيطة سوداء ووضعت على كتفي شالاً اسود وذهبت الى وزارة الخارجية ومعي بطاقة من سفيرنا وقد كتب عليها اسم سكرتير موسوليني فأُصعدت برافعة وقيل لي ان انتظر قليلاً لانني وصلت قبل الميعاد المطلوب بعشر دقائق . والغرفة التي جلست فيها عالية السقف جميلة النقش جدرانها من رخام وقد علقت فيها صور من تصوير بعض ارباب الفن المتوسطين . ومن الذين كانوا في الغرفة كهل كان يمشي قلقاً ويداه خلف ظهره وقد امسك بهما ظرفاً كبيراً فلما دخلت نظر اليَّ شزراً كأنهُ استاء من دخولي لكنهُ ظل يمشي ذهاباً واياباً وهو ينظر الى السقف نظر الامل والى الارض نظر القنوط . وعند الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين تماماً دخل السكرتير وادّى كرسيًّا مني وجلس وقال ان رئيسهُ يعتذر اليَّ اذا تأخرت قليلاً ولكنهُ لا يدع احداً يشغلهُ اكثر من عشر دقائق ولذلك لا يطول انتظاري لهُ . وخرج الرجل الكهل حينئذٍ وحادثني السكرتير في احوال بلادنا السياسية ثم فُتح الباب وادخلت الى غرفة السنيور موسوليني فاعتراني شيء من الاضطراب . والغرفة كبيرة مظلمة ليس فيها الا مصباحان كهربائيان فوق طاولة كبيرة للكتابة عليها كراديس من الاوراق وكان السنيور موسوليني جالساً الى جانبها وبيده جريدة فلما دخلت نهض واتى لاستقبالي وقدم كرسيين وضعهما متقابلين واجلسني على احدهما وجلس على الاخر وهو لابس سراويلاً واسعاً وجزمة سوداء عالية . ويظهر عليهِ انهُ قوي البنية مجدول العضل عيناهُ براقتان وصوتهُ اجمل صوت سمعتهُ . وقد استغربت ما رأيتهُ فيهِ من الدعة والظرف والانس فان هذه الصفات قلما تجتمع في الكبار من الرجال واذا لم يكونوا عظاماً بالفعل تخلقوا بالفظاظة بدلاً من العظمة لكي يخيفوا الصغار الذين يدنون منهم حاسبين ان الفظاظة تتفق مع ذكاء العقل وتجعلهم مثل نبوليون . اواه على نبوليون فقد حسب الذين توخوا العظمة في عصرنا فابوا بالفشل انهم بهِ كانوا مقتدين

قال لي الاب موني Mugnier مرةً اني آسف لان كثيرين في زمن نبوليون وبعده ارادوا ان يقتدوا بهِ ولعلهُ هو اعتقد ذلك ايضاً وهذا ما قضى عليهِ

سألني السنيور موسوليني مسائل كثيرة عن وزارتنا والانتخابات العمومية وقال انهُ اقام في لندن اربعة ايام فقط وقت المؤتمر التمس فشكرهُ المستر بونارلو حينما لم يوافق على سياسة فرنسا باحتلالها الرور . وكنت ميالة الى الكلام على سياسة ايطاليا

في الوقت الحاضر لكنني رأيت ان الافضل ان لا ادخل في هذا الموضوع فتكلمنا بحرية وحذر عن اميال الشعوب المختلفة وامانيها وسياساتها بعد عقد الهدنة . وسألني هل نعرف نحن في انكلترا ما هو جارٍ في ايطاليا . فقلت لهُ قد يحتمل اما انا فلست الآن في دونتج ستريت ( مسكن رئيس الوزراء وقد كانت فيهِ في وزارة زوجها ) فلا اعلم عن ايطاليا الاَّ ما اقرأهُ في الجرائد وهذه قلما تبين جلية الحال . وبعد ان مدحتُ ما اصلحهُ في بلادهِ وانا مخلصة في مدحي قلت لهُ اني وان كانت معرفتي عن بلادكم قليلة لكنني اخشى ان اكون واياكم على طرفي نقيض اذا قلت اني اكره واحتقر استعمال العنف في السلطة فان ارعاب الناس والقاءهم في السجون ليسا دليلاً على القوة بل هما اعتراف بالفشل ما لم تدعُ الضرورة الشديدة الى استعمالها بحدوث ثورة في البلاد

ولست واثقة انهُ ادرك مرادي تمام الادراك لاني كنت اكلمهُ بالفرنسوية لكنهُ دافع عن نفسهِ وقال ان ليس لهُ غرض ذاتي . فقلتُ نعم ولكن لك ذات ولي ذات وافعال كلٍّ منا ناتجة من ذاتهِ فلا تستطيع ان تتنصَّل من المسؤولية

ظهر لي حينئذٍ انهُ لم يكن مصغياً اليَّ ثم افاض في الكلام على ما يرقي الامم وكان يتكلم ببلاغة وقوة عارضة كمن يثق بما يقول ثقة لا يخامرها ريب وقال ان ايطاليا كانت في اعظم قوتها لما كانت الحروب الاهلية فاشية فيها اسرة تحارب اسرة وولاية تحارب ولاية واقطاع يحارب اقطاعاً وانهُ هو غير مغرم باستعمال العنف ولكنهُ يحسب استعمالهُ مبرّراً ادبيًّا تحت شروط ثلاثة

ولما قال ذلك انتصبت وادنيت كرسيَّ من كرسيهِ وانا احسب اني سأسمع آراء مكيافلية سفسطية لتبرير اعمال العنف التي عملتها الحكومة الايطالية فسألني بظرف مستفهماً استفهاماً انكاريًّا « ألم تستعمل حكومتكم العنف مطلقاً » فخجلت لانني تذكرت ما فعلتهُ في ارلندا وطلبت منهُ ان يخبرني عن الشروط الثلاثة التي يجوز استعمال العنف فيها فقال الشرط الاولى ان يُستعمل جهاراً وصراحةً والثاني ان يكون الغرض منهُ النفع لا الضرر كما يفعل الجراح الماهر يبتر العضو المصاب والثالث ان يستعمل في الوقت المناسب لا قبلهُ ولا بعدهُ

فزال مكيافلي من ذهني ورأيت امامي رجلاً فرداً حيًّا هماماً كلهُ ثقة بنفسهِ ولكنهُ لا يصم اذنيهِ عن سماع آراء الغير

فقلت لهُ ان الشرط الاول لا يبطل حقيقة العنف ولو البستهُ ثوباً خَلقاً من كرم الاخلاق فانك اذا اغرقت مرةً في الماء فلا فرق عندها سواء كان الماء بارداً او حاراً والشرط الثاني أدبي بلا شك ولكن الشرط الثالث وسيلة لا تبرر الغاية

فاجابني بكلام مختصر كلهُ ظرف وهزل يدل على سرعة خاطر وليس فيهِ اقل تصنُّع اوني يدعو الى الملل ثم غيَّر الموضوع بغتةً وسألني عما لقيتهُ في اميركا وهل سررت بما شاهدتهُ فيها. فوصفت لهُ حسن ضيافة الاميركيين وما لقيتهُ من الاكرام. وانتقلنا الى الكلام على دستورهم وكيف انهُ قليل المرونة وكيف انهم يشددون في محاسبة انفسهم ويدققون في نظرهم الى امور غيرهم ويترددون في الحكم عليها اولها

وباحثني في عادات الامم المختلفة ثم رأيتهُ ادار رأسهُ والتفت فقلت لهُ الى اي شيء تلتفت فقال الى جهة الباب فقلت لهُ ان ذلك افضل من الالتفات الى الساعة ولكن لعل عند الباب ساعة معلقة. لانهُ كان قد مرَّ علينا نحو ساعة من الزمان ونحن نتكلم. فقال لي ان ليس لديهِ شغل مستعجل وطلب مني ان لا اتعجل في القيام ولكنني شعرت انني اطلت الزيارة فنهضت ونهض هو ايضاً ومشى معي وهو يتكلم ويضحك ويتمهَّل الى ان وصلنا الى الباب فافترقنا على ان نلتقي مرة اخرى قبل مغادرتي رومية

اني لست من الذين يسهل انخداعهم ولقد لقيت كثيرين من المغترين بانفسهم الذين يحسب كلٌّ منهم انهُ سائر في خطة نيوليون ولكنني خرجت من قصر شيجي (حيث لقيت موسوليني) وانا شاعرة انني لقيت رجلاً يندر جدًّا امثالهُ ولا ريب في ان موسوليني عمل اعمالاً عظيمة لايطاليا وانما اخاف انهُ ينسى مذهبهُ القديم مثل كل الذين يتمذهبون بمذهب جديد وفي ذلك خطر شديد فان إخضاع الناس شيء والتسلط عليهم شيء آخر . والحرية من غير نظام لا يمكن ان تكون عنفاً ولكن النظام بغير حرية يزيل ادب النفس . وقد تلاشى القوة ما يراد بها ثم يَنتج منها ما قامت الفاشستية لنقضهِ